

التعليم الشرعي: رؤية إصلاحية

Shari'ah Education: Reformist Vision

أ.د/ زياد خليل الدغامين

جامعة آل البيت الأردن

zdaghamin@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/03/24 تاريخ القبول: 2022/06/05

الملخص:

يتناول هذا البحث أبرز مشكلات التعليم الشرعي، ويهدف إلى تصور الحلول لها فيما يرجع إلى: الطالب، والمدرس، والمقرر الدراسي، والبرنامج الأكاديمي، والوسط التعليمي. وبين سبب إجماع الطلبة عموماً عن الالتحاق ببرامج علوم الشريعة من أسباب نفسية واجتماعية وسياسية، وخلص إلى ضرورة إصلاح كل هذه العناصر، وأول أسباب الإصلاح استقلال التعليم عن كل المؤثرات الخارجية، وإصلاح الطالب نفسياً ومعنوياً، وإصلاح المدرس معرفياً ومنهجياً وقيماً، وإصلاح الكتاب المقرر والبرامج الدراسية والوسط التعليمي ضرورات لازمة لعملية إصلاح التعليم. وسلك البحث المنهج التحليلي والوصفي، ووقع في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة. وأوصى بضرورة العناية بالتعليم الشرعي ورفده بالمتطلبات اللازمة المادية والمعنوية كي يستأنف وظيفته في بناء الأمة وتقوية الدولة. **كلمات مفتاحية:** أزمة التعليم الشرعي؛ طالب الشريعة؛ مدرس الشريعة؛ الوسط الأكاديمي.

Abstract :

This research includes the manifestations of the crisis experienced by sharia education in our educational institutions, despite holding of many conferences, and authoring a great deal of scientific research, articles and books in this context. The causes of this crisis are referred to the student, teacher, literature, course plan and the academic program. Furthermore, this research illustrates the reasons why the students refuse to enroll in the sharia science program; for example, the reasons vary from psychological to social and political reasons. This research also shows the necessity of tackling this issue and dealing with its causes. There are many solutions to address this problem. First of all, keeping education independent and free from all external influences. Secondly Treating the student psychologically and morally and curing the teacher's knowledge, values and methodology. Finally, improving the course curriculum, study programs and educational community is highly essential to reform the education. In conclusion, this research recommends taking care of sharia education and provide it with financial and moral requirements in order to rise again.

Key words: the Crisis of Sharia education; Sharia student; Sharia schooler; Academic environmen.

المقدمة:

تعيش علوم الشريعة -اليوم- أزمة كبيرة تتمظهر في المقررات والمناهج الدراسية والبرامج الأكاديمية، وفي طرق التدريس، وأزمة أخرى في نوعية المعلم والمتعلم، والطالب والمدرّس، وأزمة ثالثة في الوسط الأكاديمي والأجواء العلمية السائدة في المؤسسات التعليمية... أدت كلها إلى ضعف في نتاج

تدريس هذه العلوم، وضعف في مخرجاتها. يدرك ذلك كلّ ممارس أو مطلع على العملية التعليمية، بل لا أبالغ إذا تنبأت بمستقبل غير واعد لمخرجات هذه العملية إن ظلّ هذا الوضع قائماً، وأنّ هذه المخرجات بما هي عليه من مستوى بالغ في الضلالة، وتحصيل بالغ في الضحالة بات يشمل معظم مؤسسات التعليم الشرعي؛ لذلك لا أكون مجازفاً إذا قلت: إنّ عملية التعليم الشرعي أصبحت بحاجة إلى الدخول في العناية الحثيثة! يدلّ لذلك مستوى التحصيل العلمي لمخرجات التعليم بمراحله الثلاث: البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه. وكيف يمكن أن نتخيل مستوى البحث العلمي حين يكتب طالب رسالة علمية بمستوى درجة الماجستير لتكون أولى نتائجه أنّ الشيطان عدو للإنسان!! بل إنّ بحثاً علمياً يهدف صاحبه إلى الترقية إلى رتبة "أستاذ مشارك" كانت بعض نتائج أبحاثه: أنّ أسماء سور القرآن كانت بتوقيف من النبي ﷺ، وأنّ إفساء السلام يكون بتحية الإسلام المعروفة "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" وعدم استبدالها بغيرها من التحايا!! نعم، التعليم الشرعي يواجه أزمة متعدّدة الجوانب تشمل عناصر العملية التعليمية كلها، ابتداءً بالطالب ومروراً بالمدرس وانتهاءً بالوسط الأكاديمي. إضافة إلى المادة العلمية التي تدرس في علوم الشريعة هي الأخرى تمثل جانباً من الأزمة، ففي علوم القرآن والتفسير أصبحت عملية التدريس مقتصرة على حفظ أقوال السابقين، وليس بالإمكان تجاوز ما قالوه وما سطره! وفي علوم الحديث ظلّ البحث قائماً في أحوال الرجال جرحاً وتعديلاً، وضبطاً وتوثيقاً، وتحوّلت علوم الآلة وأدواتها إلى غاية! وحفظ أقوال السلف في علم العقيدة فريضة على كل طالب وطالبة، ولا بدّ - كذلك - من بعث المعتزلة من قبورهم للرد عليهم، وإحياء الفرق الميتة للتكامل بها على صعيد النقد العلمي... وبمعنى آخر هيمن تراث الأمة على عقول أبناء الجيل بقضه وقضيضه، وغثه وسمينه، حتى سمعت من يقول من جهابذة علم الحديث: "لو اكتفى الطلبة بدراسة فتح الباري لما كان هناك داع لدراسة مواد أخرى، ففي الفتح الغنية والكفاية"، وفي هذا تعييب للطالب عن واقعه وواقع مجتمعه، وواقع أمته، ويظهر أنّ القاسم المشترك الأعظم في منهج تدريس علوم الشريعة هو غيابها عن واقع حياة دارسها، وانكفاؤها عن مواجهة التحديات التي تعصف بالأمة! والمقرّرات الدراسية الحديثة - في كثير منها- ما هي إلا صدى لما ورد في كتب التراث الفقهي والعقدي والتفسيري والحديثي، فتعيش الحاضر بعقلية الماضي وطريقة تفكيره، وليس المشكلة في الماضي قطعاً، إنّما هي في الحاضر العاجز الذي يشمل ركني العملية التعليمية: الطالب والمدرس.

لقد شهدنا زماناً كان فيه تراث الأمة يحظى باحترام فوق العادة، وكان هذا الوضع مستنكراً عند بعضهم بوصفه معوّق نهضة وانطلاق حضارة، ويا ليت هذا التراث ظلّ يحظى بالعناية والاحترام عند أبنائه، بل وجدنا اليوم من ثار عليه، وتمرد على أدبياته مع إفلاس وفقر مدقع في طرح البديل! وبات لا يعرف البخاري ولا مسلماً، وإن سألته عن صاحب الأم والرسالة استغرق في تفكير عميق ليقول بعدها: لا أدري! وهذا تحدّ خطير يقطع خلف هذه الأمة عن سلفها، ويقودها نحو جهالة جهلاء، وضلالة عمياء! أضف إلى ذلك، جملة التحديات المعاصرة التي تواجهها هذه العلوم، ومن أبرزها تلك الخطة الممنهجة التي تمارس من أجل تجفيف منابع العلم الشرعي ضمن حملة كبرى لتجفيف الحسّ الديني بدعوى باطلة مزيفة كالإرهاب وغيره، وقد قامت دعوات علنية عالمية تدعو إلى تغيير التعليم الديني في العالم الإسلامي وتطويره ليتواءم مع روح العصر ومتطلباته المرسومة من ذوي أصحاب القرار والهيمنة، وإنشاء مراكز متخصصة تراقب ذلك، بل تعالت صيحات في أوروبا تطالب بتعديل نصوص القرآن الكريم نفسه! ناهيك عن مخططات تهدف إلى إعداد مشايخ يصنعونهم صناعة وفق ما يريدون!

لذلك، يبدو واضحاً للعيان تراجع أعداد الطلبة الذين يدرسون الشريعة في الجامعات عن سبق عزيمة وإصرار وإرادة حرّة. وإذا ما قدر لهذا الوضع أن يستمر، فإنّ نتائجه الكارثية ستدفع الأمة إلى مستنقع الجهالة ومستودع الضلالة.

ويهدف هذا البحث إلى بيان الأزمة الحقيقية التي تعاني منها علوم الشريعة وكلياتها، على أنني لم أر من كتب فيه من هذه الوجهة، أو خطّ فيه رسالة علمية، أو سلّط الضوء ونحا باتجاهها، عدا أعمال مؤتمرات أعدت أوراقها على عجل، مثل:

1. المؤتمر العالمي الذي عقد في عمّان بعنوان: "علوم الشريعة في الجامعات" والذي نظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة 1994 بالتعاون مع جمعية الدراسات الإسلامية وثلاث جامعات رسمية هي: الأردنية والبريموك وموته. وتضمن بحوثاً عن واقع تدريس علوم الشريعة، والحاجة إلى تطويرها، ومعايير اختيار مدرسي علوم الشريعة وطلابها، وقدمت مقترحات لتدريس بعض المواد. وتمخض المؤتمر عن أن أسباب الأزمة ترجع في الغالب إلى المحتوى التدريسي، وتموضع المشكلة في المنهج والمقرر، وهو خلاف بحثنا هذا.

2. مؤتمر عالمي حول التعليم الشرعي وسبل ترقبته عقد في الدوحة بتنظيم الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين عام 2016. قدّم فيه سبعة عشر بحثاً تدور حول التجارب العملية والمشروعات الفكرية، وهدف إلى بيان الإيجابيات والسلبيات في المدارس الشرعية التقليدية والمدارس المعاصرة للوصول إلى مشروع علمي قابل للتطبيق يبين فيه كيفية الارتقاء بالطلاب والمعلم، والمنهج والمقررات، وكان من أهدافه مواصلة البحث لتقديم مشروع متكامل بهذا الخصوص⁽¹⁾.

3. مؤتمر عالمي حول التعليم الشرعي وسبل تطويره، وهو مؤتمر علمي عقده جامعة النجاح الوطنية في نابلس- فلسطين سنة 2017. دارت بحوثه حول: تطوير تدريس علوم الشريعة، وتطوير كلياتها، وحاجة كليات الشريعة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، والوقف وأثره في دعم التعليم الشرعي، والتحديات والصعوبات التي تواجه كليات الشريعة، ودور كليات الشريعة في الحياة العامة، وسمات طلاب الشريعة...، والذي اتفقت عليه هذه البحوث هو أنّ كليات الشريعة تتعرض لهجمات محلية ودولية لتفريغها من محتواها، وتجريديها من مهماتها.

4. مؤتمر عالمي حول: العلوم الشرعية: تحديات الواقع وآفاق المستقبل، أقيم في عمّان، ونظّمته كلية العلوم الشرعية في نهاية عام 2018. تناول موضوع الفتاوى الشرعية والاجتهاد واستثمار الوقف، ومقاصد الشريعة، والعلوم الشرعية والأمان الحضاري، والعلوم الشرعية وسبل الاستجابة لمتطلبات العصر، ومتطلبات الواقع.

5. وهناك كتب مفردة تناول أصحابها الأزمة ومظاهرها وأسهموا في التنظير لحل بعض جوانبها، فأبو الحسن الندوي كتب بعنوان: الطريقة المثلى لإعداد خريجي الجامعات الإسلامية، نشرته مكتبة الهداية 1413. وحسن ملا عثمان كتب عن طرق تدريس المواد الدينية الإسلامية، وعبد الوهب طويلة كتب عن التربية الإسلامية وفن التدريس، وزين الدين محمد كتب عن تدريس الحديث النبوي. وخالد الصفدي مع عبد الرحمن حللي كتباً عن أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي...

لكن دراستنا ستتجاوز هذه المكتوبات لتشير إلى جوانب الأزمة القائمة للإحاطة بأبعاد أكثر شمولاً، وهي غير تلك الأزمات التي مضى عليها نحو عقدين ونصف من الزمان حين انعقد المؤتمر الأول لهذا المقصد. محاولين وضع منظور يسهم في حلّ بعض مظاهر هذه الأزمة، أما حلّ الأزمة كلها فذاك شأن

اشتد فيه الخطب واتسع فيه الرقع على الراقع! فلا حلّ إلا باستقلال حقيقي، وإرادة حرّة، وعزيمة قوية تمتلكها الأمة لتصلح شأن تعليم أبنائها!

وستقع هذه الدراسة في خمسة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: الأزمة القائمة في الإحجام عن دراسة علوم الشريعة

المبحث الثاني: الإصلاح النفسي لطالب علوم الشريعة

المبحث الثالث: مؤهلات مدرس علوم الشريعة

المبحث الرابع: المناهج والمقررات الدراسية

المبحث الخامس: الوسط التعليمي

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المبحث الأول: الأزمة القائمة في الإحجام عن دراسة علوم الشريعة

يصعب أن نعيد كل الأسباب الكامنة وراء ضعف مخرجات علوم الشريعة إلى عضو هيئة التدريس وإن كان يشكل بعض الأزمة. كذلك، الوسط العام والأحوال المحيطة بتدريس هذه العلوم، أضف إلى ذلك المناهج والمقررات الدراسية... كل هذه الأسباب أدت إلى حالة من التأزم في مخرجات العملية التعليمية الشرعية. وأهم تلك الأزمات وأكثرها قوّة تلك الأزمة المتمثلة في الإحجام عن دراسة علوم الشريعة! والطالب هو الحلقة الأولى من حلقات التأزم، ولنوضح ذلك بشيء من التفصيل:

الطالب من حيث تكوينه النفسي والمعرفي يشكل الأزمة الأولى مع أنّه عماد العملية التعليمية برمتها، لكن الإحباطات التي يعاني منها طلبة علوم الشريعة كثيرة تتوزع على مختلف أنشطة الحياة وميادينها، والأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبطالة، وقلة الوظائف، واعتماد الطالب لسنّ متأخرة على نفقة والديه أو إخوته حتى بعد التخرّج، ومن ثمّ انعدام الأمل والطموح في المستقبل... كل تلك الأحوال تدفع إلى تشكيل نفسية الطالب، وإذا كان هذا شأن نفسية محبطة تطلب العلم، فإنّ روح المبادرة والإبداع والقدرة على متابعة قضايا العلم ستكون واهية واهنة، بات المهم لدى الطالب أن يبحث في سوق التعليم عن رخصة عمل تمكنه من الحصول على وظيفة يمارس من خلالها نشاطه الاجتماعي في الحياة. ومن شأن هكذا مخرجات ونفسيات أن تحطّم أقوى سلاح تملكه الأمم والمجتمعات، أعني: سلاح العلم والمعرفة! وأخطر ما في هذه النفسية أن يتحول العلم لديها من كونه رسالة إلى كونه وظيفة وسبب رزق!

ولذلك، فإنّ خريج الثانوية العامة لا يوجّه بوصلته في اختياره الأول للدراسة نحو علوم الشريعة ابتداءً، وليست كليات الشريعة هي هدفه الأول، إلا بعد أن تستنفد كل الخيارات أمامه، عندها لا مانع عنده من حمل رخصة عمل في الشريعة. ولو تم الاطلاع على طلبات التقديم للدراسة في الجامعات التي تعبر بصدق عن خيارات الطلبة لوجدنا نسبة ضئيلة جداً كان خيارها الأول دراسة الشريعة لا تتجاوز في أحسن الأحوال وأقصاها ويقطع النظر عن المعدل اثنين بالمائة (2%)، من مجموع الطلبة المتقدمين بعشرات الآلاف إلى هيئة القبول الموحد في الأردن. والجدول الآتي يوضح النسبة الحقيقية للطلبة الراغبين بدراسة الشريعة من الذكور والإناث، وكانت دراسة الشريعة هي خيارهم الأول عند تقديم الطلبات⁽²⁾.

النسبة المئوية لمجموع الراغبين	الحد الأدنى لمعدل الثانوية العامة	مجموع الراغبين	عدد الإناث	عدد الذكور	مجموع الطلبة المتقدمين	العام الدراسي
0.02 %	% 65	655	432	223	33728	2017-2016
0.006%	% 80	214	160	54	36829	2018-2017
0.01%	% 75	488	328	160	42779	2019-2018

وبناءً على هذه المعطيات يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

1- يلاحظ أنه كلما ارتفع معدل القبول لتخصص الشريعة تقلّ نسبة الراغبين في دراسة هذا التخصص، فلما كان معدل القبول 65 % كانت نسبة الراغبين 2% تقريباً. وقلّت هذه النسبة إلى 1% حين ارتفع المعدل إلى 75%؛ وانكسرت إلى 0.006% حين أصبح المعدل 80%؛ مما يعني أنّ ذوي المعدلات المتوسطة والضعيفة هم الذين كان خيارهم الأول دراسة الشريعة في الأعم الأغلب.

2- إنّ عدد الراغبين في دراسة الشريعة من الإناث يبلغ ضعف العدد الراغب في دراسته من الذكور تقريباً؛ وكلما ارتفع المعدل تزداد نسبة الإقبال من الإناث، يتضح ذلك حين كان معدل القبول 80% حيث بلغ عدد الإناث ثلاثة أضعاف عدد الذكور تقريباً.

3- هؤلاء تم إعلان قبولهم في التخصص الذي يرغبون به، لكن هل سجلوا فعلاً في هذا التخصص؟

4- هذه الأرقام لا تعني أنّ هؤلاء هم المقبولون فقط في تخصص الشريعة، فقد حرم المعدل كثيراً من الطلبة الذين يرغبون بدراسة تخصصات أخرى، فلما أوصدت أبواب تلك التخصصات في وجوههم تحوّل بعضهم إلى دراسة الشريعة فازدادت أعدادهم! وهذا مظهر أزمة خطيرة، إذ كيف يتفاعل من كان هذا وصفه مع علوم الشريعة، وكيف سيبدع فيها، وقديماً قال علماؤنا: "اعلم أنّ كثيراً من الناس يقضون السنين الطوال في تعلم العلم، بل في علم واحد، ولا يحصلون منه على طائل، وربما قضوا أعمارهم فيه ولم يرتقوا عن درجة المبتدئين، وإنّما يكون ذلك لأحد أمرين: أحدهما: عدم الذكاء الفطري، وانتفاء الإدراك التصوري. وهذا لا كلام لنا فيه ولا في علاجه. والثاني: الجهل بطرق التعليم، وهذا قد وقع فيه غالب المعلمين" (3)، بل عدّ بعضهم أهم سبب لضعف خريجي الشريعة عدم إقبال الأذكيا على دراسة علوم الشريعة، وسوء مناهج التعليم وطرق التدريس" (4).

5- الطلبة الذكور هم الخطباء وأئمة المساجد والدعاة إلى الله فلو أحصينا الذي رغبوا بدراسة الشريعة منهم في السنوات الثلاث الماضية سنجد العدد متواضعاً إلى حدّ كبير، فقط أربعمائة وسبعاً وثلاثين طالباً (437) يرغبون بدراسة الشريعة بحق، وهو اختيارهم الأول. وهذا العدد لا يلبي ولا يفي بحاجات سوق العمل من معلمين وأئمة وخطباء ووعاظ!

6- إنّ نسبة الراغبين في دراسة الشريعة تتناسب أعدادهم عكسياً مع معدلاتهم في الثانوية العامة، فكلما ارتفع المعدل قلّت النسبة، وكلما نقص المعدل زادت النسبة، ولو افترضنا ارتفاع المعدل إلى 85% لربما تجد عدداً محدوداً جداً ممن يرغب بدراسة الشريعة لا تتجاوز نسبته الواحد بالألف (0.001 %) وسيكون جلّهم من الإناث.

أضف إلى ذلك أسباباً أخرى يمكن إجمالها في الآتي:

1- ضعف الالتزام والوازع الديني، أو ضعف التدين بصفة عامة عند كثير من الناس، أو ضعف التربية الإسلامية في البيوت المسلمة، مما يحدّ من الرغبة بدراسة هذا التخصص، فالتناس لا تهَيئ أبناءها ولا

تغريهم بدراسة علوم الشريعة، وحين يظهر على الابن علامات الذكاء والنبوغ سهر عليه أهله وبذلوا له جلّ عنايتهم، ونذروه ليدرس الطب أو الهندسة أو الصيدلة أو علوم الطيران... يستخسرون أن يذهب تعب أبنائهم سدى!! ولو رغب الأول في الثانوية العامة في الفرع العلمي مثلاً بدراسة علوم الشريعة لمنعه المجتمع من ذلك، ولربما وصفه بالجنون!!

2- المكانة الاجتماعية الحالية والمستقبلية لخريج الشريعة، حيث ينظر إليها المجتمع على أنها مكانة متواضعة؛ لأنّ وظيفة الخريج إما أن تكون إمام مسجد وخطيب جمعة، أو معلّم مدرسة، أو موظفاً في بعض الدوائر الحكومية، وهي وظائف ارتبطت برواتب ضعيفة مجردة من كثير من الحوافز. والتعليم في زماننا أصبح ينظر إليه على أنه مهنة واستثمار وتجارة، وليس رسالة حضارية ترقى بالأمة والمجتمعات، ولولا أنّ معدل الثانوية العامة يشكل عائقاً أمام رغبات الناس، لكانت غالبيتهم تطمح إلى دراسة تلك التخصصات التي تدرّ دخلاً مالياً مريحاً كالتب والهندسة ودكتور الصيدلة وغيرها. هذا الهدف المالي الاستثماري الذي تحول به التعليم إلى سلعة هو الذي يحكم قرار الطالب وأهله حين يختارون نوع التخصص الذي يرغب بدراسته، فضلاً عن حظوة أصحابه بمكانة اجتماعية محترمة.

3- أضف إلى ذلك أنّ بعض وسائل الإعلام أسهمت في عملية تشويه متعمّد لعلوم الشريعة وعلماؤها وطلبتها، وموآل الإرهاب وإيقونته تتردّد على ألسنة كثير من العلمانيين والليبراليين⁽⁵⁾، وتحوم قريباً منهم، وتتهم كليات الشريعة بأنّها مصدره، بل هناك من اشتط به القلم، وجنح به الوهم فسطر مقالاً بعنوان: "داعش تمتلك كلية الشريعة في الجامعة الأردنية"، و"أنّ كلية الشريعة هي جزيرة داعش"⁽⁶⁾. ولأجل هذه الأوهام والظنون يطالبون بتجفيف منابعه كما يزعمون، ولذلك تنظر إلى كليات الشريعة بعين الريبة. ولأجل هذا التخوّف لا تحظى كليات الشريعة بأيّ عناية أو رعاية فمبانيها لم تتطور منذ إنشائها، والتعيينات فيها تضيق إلى أبعد الحدود بعيداً عن المعايير العلمية!

4- من أسباب الإحجام عن دراسة علوم الشريعة افتقاد دراستها إلى حوافز مادية أو معنوية تغري بدراستها، فلا من حيث الدخل مجدياً، ولا من حيث المكانة الاجتماعية مرموقاً، وهذا ما يفتّ في عضد طلبة علوم الشريعة، فوظيفة الدارس لعلوم الشريعة ووظيفة ذات امتيازات وحوافز ضعيفة جداً بخلاف التخصصات الأخرى، مما يعني عزوف الطلبة عن دراسة هذا التخصص، فالشريعة – على رأي بعضهم- لا تمكن من عيش رغيد، وحياة مريحة، في نظرهم!

غير أنّ هذه الأزمة ليست ذاتية المنشأ في الأعم الأغلب، فلا يمكن إهمال المؤثرات الخارجية التي تتبناها القوى العظمى التي تفرض سياسات تعليمية مرتبطة بمساعدات مادية تقدم لأدواتها في بلاد العالم الإسلامي لتقزيم تدريس علوم الشريعة، ويرى الجندي أنّ هذه القوى: "عمدت أول ما عمدت إلى هدم ثلاث دعائم من كيان الأمة تلك هي: حجب الشريعة الإسلامية في نظام الحدود، وتغيير نظام الاقتصاد بفرض الربا، ثم كانت خطته الماكرة في تغيير مناهج التربية والتعليم، وإخراج القرآن والإسلام من هذا البناء الثقافي، وتقريغه من روح الإيمان بالله، ومنهج التكامل والترابط بين القيم وأخلاقية أسلوب الحياة. وحشوه بروح المادية والتمرد على الله، والثورة على القيم الروحية والخلقية، وعبادة الجسد والمادة"⁽⁷⁾. ولذلك كانت الدعوة إلى استقلالية الأمة وحريتها في اتخاذ قراراتها هي بداية الطريق لإصلاح عملية التعليم من ألفها إلى يائها.

المبحث الثاني: الإصلاح النفسي لطالب علوم الشريعة

إذا لم يكن طالب علوم الشريعة ذا رغبة حرة، شغوفاً مولعاً بحب القرآن وعلومه، والسنة وعلومها... فلن يبلغ الذروة في العلم، ولن يقاربها، فإن المطلوب من الناحية النفسية إرادة حازمة ورغبة جامحة في طلب العلم هي حصيلة تربية بيتية ومدرسية عميقة، والانطباع العام أن أغلب طلبة علوم الشريعة يفتقرون إلى مثل هذه الإرادة والرغبة. أضف إلى ذلك ضعف الهمة وضعف الالتزام عند كثير منهم، وهذا ما يدعو إلى التفكير في الإصلاح النفسي للطالب، ليس بدم الهوة، أو راب الصدع بينه وبين علوم الشريعة فحسب، بل بحب هذا العلم حباً يؤهله للإبداع والتفوق فيه. وهذه قضية تستوجب العناية في وقت مبكر جداً، يسهم في بنائها جهات عديدة ابتداءً بتوجيه الوالدين، مروراً بالمعلم القدير، والصحة الطيبة، والقراءة الصالحة، والجيرة الخيرة، وأهل العلم والفضيلة، وانتهاءً بالمجتمع والدولة التي ينبغي أن توفر الأجواء اللازمة والحوافز المناسبة لطلبة علوم الشريعة؛ فهم معاول بناء مهمة في حياة الأمة والمجتمع، هذا كله من جهة. ومن جهة أخرى إصلاح هذا الأمر بإصلاح علاقة الطالب بكتاب الله تعالى من حيث مسؤوليته في أخذ هذا الكتاب بقوة، وحدود فهمه والالتزام بهديه. وقد تقرّر في هدي النبي صلى الله عليه وسلم معاني مهمة يحتاجها كل من يقبل على كتاب الله متفهماً أو متعلماً، ومن هذه المعاني ما يرجع إلى طالب العلم نفسه، ومنها ما يرجع إلى موقع القرآن الكريم في نفسه صاحبه الذي يفهمه ويتعلمه، وبمعنى آخر، كيف لطالب علوم الشريعة أن ينظر إلى كتاب الله تعالى. ولنتناول هذا الأمر في مطلبين اثنين:

المطلب الأول: الحالة النفسية الحاكمة للطالب في علاقته بالقرآن الكريم

شأن طالب علوم الشريعة في نفسه أن يكون كبيراً، واستشعاره الدائم أن الله تعالى أراد به خيراً في دراسته لهذا الدين، كما أخبر ﷺ حين قال: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين..." الحديث(8)، ولشأن هذا العلم وقيمته وأثره خصّ النبي ﷺ ابن عباس بدعوة صالحة حين قال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"(9). وينبغي أن تتولد لديه رغبة جامحة وحب كبير لطلب هذا العلم، وفي كلام علمائنا وسلوكهم المثل الطيب والقوة الحسنة، فقد قال الشافعي رحمه الله: حق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله تعالى في إدراك علمه نصاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله تعالى في العون عليه، فإنه لا يُدرَك خيراً إلا بعونه(10). وقد سئل الشافعي رحمه الله: كيف طلبك للعلم؟ قال: طلب المرأة المضلّة ولدها وليس لها غيره(11).

فإذا أخلص الطالب في حب العلم، وقصد بذلك وجه الله تعالى، وحرص على أن يتفقه في دين الله، فإنه يكون قد ارتقى نفسياً، وتأهل معنوياً ليفهم كلام الله تعالى، ولعلّ هذا ما ينبغي أن يتمتع به طالب العلم من صفات نفسية، فاخياره هو أفضل اختيار وأوفقه، وعلمه بدين الله هو أرفع العلوم وأنفعها، وبناءً على ذلك، ينبغي أن يجرد نفسه لهذا المقصد، وينقي نفسه من كل ضعف، خصوصاً ضعف الهوى والشهوة وغيرها، فإن كان نقياً انعكست أنوار القرآن على قلبه، وتجلّت في سلوكه، قال الزركشي رحمه الله: اعلم أنه لا يحصل للنّاظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسرارُه وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى، أو حب الدنيا، أو هو موصّر على ذنب، أو غير متحقّق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسّر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوليه، وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من بعض(12).

وإذا كان وصول الطالب إلى هذا المستوى من التهيئة والإعداد النفسي ضرورة مهمة من ضرورات دراسة علوم الشريعة وتلقيها، فإنّ كليات الشريعة معنية بتوفير البيئة اللازمة، أو إيصال الطلبة إلى هذا المستوى النفسي عبر مقرر دراسي يخصّص لهذا المقصد، أو عبر خطاب عام، ونهج متّبع تسلكه تلك

الكليات لغرس قيم العلم وحبّ العلم في نفوس الطلبة، وعدم الاكتفاء بتلقين الطالب معلومات متنوعة في علوم الشريعة، وهو غير مؤهل لحملها، أو ثمة حواجز نفسية تحول دون تفاعله معها.

المطلب الثاني: التصوّر الحاكم لعلاقة الطالب بالقرآن الكريم

إذا استقرّ مبدأ تعظيم القرآن في نفس الطالب وأصبح قيمة علمية وسلوكية، فإنّ مما لا شكّ فيه أن ينعكس إيجاباً على فهم كتاب الله تعالى، فمن أحبّ القرآن تنوّر قلبه، وانشرح صدره لهديه وتفهم معانيه، وهذه مسألة يصعب إهمالها، لما يترتب عليها من رغبة ماسّة، وحاجة ملحة تتولّد عنده لتفهم تلك المعاني. وينطق الرسول بالصدق والحق حين يبين مكانة طالب علم القرآن فيصفه بأنّه خير الناس، فيقول: "خيركم من تعلّم القرآن وعلمه"⁽¹³⁾؛ لأنّ علوم الشريعة ومعارفها وهداياتها تشكل منهج التعامل الحق مع مفردات الوجود كله: منهج التعامل الحقّ مع الله الخالق الحقّ، ومع الكون المخلوق بما فيه من إنسان وحيوان، وأرض وسماء، وزمن وهواء، وماء وأشياء تملأ الطبيعة والكون، فبالقرآن الكريم يتعلم كلّ هذا ويعلمه الناس، فإذا ما استقام التعليم واستوى على هذا النهج، فإنّ الأمة ستجني ثمار هذا النوع من التعليم بأسرع ما يمكن! إنه لم يكن على الأمة اليوم سوى هذا النهج العلماني التجهيلي في التعليم الذي أورثها مآسي كثيرة، وأخضعها لمصائب عديدة، فأنتج أجيالاً ضيّعت الأمانة والأخلاق والقيم فضاع العباد، وضاعت البلاد، وضاعت سبل العيش بالناس، واستشرى الفساد الذي بدّد مقدرات الأمة وخيراتها، فأتلف تلك المقدرات دون أن تحصّن الأمة مكانتها العلمية والحضارية بين الأمم!

لقد أتى النبي ﷺ على أحد أصحابه حين ذكر عنده وهو شريح الحضرمي، فقال في شأنه: "ذاك رجل لا يتوسّد القرآن"⁽¹⁴⁾، أي: لا ينام عن القيام به، ولا يغفل عنه تلاوته، وهذا مدح له، خاصّة وأنّ شريحاً - كما ذكر العلماء- من أفضل أصحاب رسول الله ﷺ⁽¹⁵⁾. وهذا يعني أنّ متعلّم القرآن متعلّق بحبه، والقيام به، وهو بعد نفسي يبين مدى ارتباط قلبه ونفسه بالقرآن الكريم، وتحقيق هذا البعد مع القرآن سينتج إنساناً مستقيماً أميناً صادقاً عفيفياً طاهراً نقيّاً تقياً متعاوناً محباً للخير، كارهاً للشرّ، لا يخون، ولا يغدر، ولا يأكل الحرام، ولا يسرق، ولا يزني، ولا يبيع الأوطان، مخلصاً لدينه وأمتة ووطنه! وعلى هذه الحالة ينشأ العلم الصحيح ويؤتي أكله وثماره.

ويبين الرسول ﷺ القدوة المثلى، والأسوة الحسنة، المعلم الأول للإنسانية خطوة مهمة تتعلّق بضرورة فهم القرآن والحياة به، ويفسر سلوكه ﷺ حين كان يقوم الليل يردد آية واحدة، أو حين يقرأ سوراً عديدة في ركعة واحدة، بتلك القوّة النفسية التي تظهر شدة تعلقه بالقرآن الكريم، فقد قرأ سور: البقرة وآل عمران والنساء في ركعة، لا يمرّ بآية رحمة إلاّ سأل، ولا بآية عذاب إلاّ استجار⁽¹⁶⁾. وهو تعلق إذا ما هيمن على قلب طالب العلم، فإنه يولّد عنده إرادة وهمة، وعزيمة قويّة في تعلّمه ودراسة علومه، وهو سبب وجيه في نجاح العملية التعليمية.

إنّ هذه العلاقة تتأسس على مبدأ التلقي والانقياد، أو التفاعل البصير مع آياته وبياناته، تفاعلاً تظهر آثاره في الواقع المعيش لطالب العلم، فحين يروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّه: مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها⁽¹⁷⁾. ندرك أنّ معنى الحفظ هو إقامة آياتها التي تتجسّد في السلوك واقعاً حياً، وليس أن يسترجع آياتها عن ظهر قلب. هذا التفاعل يعبر عن التفسير العملي لآيات القرآن الكريم، وهو معين للتفسير النظري من حيث فهم مقاصده وهداياته، فإذا ما اجتهد العبد - مثلاً- في تحقيق الخشوع في الصلاة بتحقيق معانيها الظاهرة والباطنة فإنّ ذلك يعدّ تفسيراً لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون 1-2) ثمّ البحث عن سبل تحقيقه في واقع الفرد والجماعة، ولا يقتصر تفسير

الآية على بيان معاني الخشوع لغة واصطلاحاً، والتدليل عليه بما ورد في شعر العرب، وقصّ حكايات الخاشعين في الصلاة!

ومما يلزم طالب علوم الشريعة معرفته بعد تعظيم القرآن وتقديسه، الإقبال على قراءته وتدبره، بحيث يكون له ورد يومي لا ينقطع عنه، وهذا من تعظيم القرآن. وطالب علوم الشريعة لا يدع فرصة لتعظيم القرآن الكريم إلا سلكها يبتغي بذلك الأجر والثواب، ويلتمس بذلك فهمه وإدراك معانيه وأحكامه، واكتشاف أنواره وأسراره.

فإن أتمّ ذلك، فقد رفع عن نفسه الملامة والإثم والحرَج، فهو يتعلّم، ويعمل بما يتعلم، فلا يجد الناس عليه مطعناً، ولا هو من الذين يقولون ما لا يفعلون، ولا هو يخالف إلى ما ينهى عنه، فلا يجد اليأس والحرَج والانهزام إلى نفسه سبيلاً! فالعلاقة الحاكمة إذن، تترسخ بمثل هذه القيم لئلا يكون القرآن حجة عليه يوم القيامة. كما أخبر النبي ﷺ: "والقرآن حجة لك أو عليك" (18)، وإلى هذا وجّه رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان حين قال له: "يا حذيفة، تعلّم كتاب الله واتّبِع ما فيه." ثلاث مرار (19).

وإن أقام حدود ما أنزل الله فيه، ووقف عندها فهو حجة عند الله تعالى، وإلا فالقرآن حجة عليه في الدنيا والآخرة، لأنّ قراءته له هي قراءة الحمار يحمل أسفاراً! وهي قراءة حذر الوحي منها.

المبحث الثالث: مؤهلات مدرس علوم الشريعة

حين يمارس عملية التعليم شخص أصابته حظوة الوساطة والمحسوبية فعين مدرساً في معهد أو جامعة عن غير أهلية وجدارة، وحين يكون الهوى هو الغالب في سلوك المدرس في تقييم الطلبة ورصد نتائجهم، وحين تتحول عملية التدريس إلى تلقين، أو قراءة نصية يتتابع طلبة الفصل على قراءة مادتها حتى نهاية المحاضرة، وحين يكلف الطلبة أنفسهم بالتحضير لإلقاء المحاضرة، وحين يتحوّل التعليم الشرعي إلى وظيفة، وحين يموت الضمير الأكاديمي... حين يكون ذلك كذلك ندرك أنه يراد لعلوم الشريعة أن تفقد كلّ قيمة لها، وكل أثر وفاعلية في حياة الطلبة فضلا عن حياة الناس، قال بدر الدين الحلبي رحمه الله: "من أشدّ الأشياء ضرراً على العلم والمتعلّمين، أن يتولّى أمر التعليم من لا يحسنه، ولا يتقنه، ولم يحصّل فيه ملكة تامّة قويّة تؤهّله للتعليم" (20). فما التكوين المعرفي والمخرجات التي ستنتجها مثل هذه العملية التعليمية!

مدرس الشريعة هو الحلقة الأعد والأهم في العملية التعليمية، والمسؤولية الأكبر تقع على عاتقه في غرس حب العلم الشرعي في نفوس الطلبة، وتحفيزهم على تحصيله، ليعرفوا أصوله وفروعه، ويتقنوا مسائله ودقائقه، فهو الحامل رسالة النبوة، بل هو وريث النبوة، وهذا ما ينبغي أن يعظم في نفسه، ويتجذّر في حسّه، إنه ليس موظفاً يتقاضى راتباً آخر الشهر، وإن فقد الشعور بقيمة الرسالة التي يحملها، وروح المبادرة والمثابرة في العطاء، وإن كان تأهيله ضعيفاً من الناحية العلمية، وإن كان ضعيف الالتزام بهدي دينه، أو كان التزامه دون مستوى التزام عوام الناس، وإن لم يكن يفكر بأنه قدوة لطلابه وأسوة لهم، وإن كثرت أعذار غيابه عن تدريس طلابه... فإنّ ذلك مما يعجّل بانتهاء عملية التعليم الشرعي، ولا يتوقف انعكاس أثره السلبي عند تدريس علوم الشريعة فحسب، بل العلوم كلها: الإنسانية والاجتماعية وغيرها ستتأثر بذلك الفقر العلمي والمسلكي المدقع.

ويعيد بعضهم مظاهر هذه الأزمة إلى قلة الكفاءات العلمية في التخصصات الدقيقة للعلوم الشرعية، والضعف اللغوي والتقني لدى المدرسين، وأنايية النخبة القائمة، وكثرة الحواجز بين الطلاب والمدرسين (21). أضف إلى ذلك، هيمنة القوى السياسية، وتغوّل السلطات الحاكمة على العملية التعليمية لتتحرف بوصلة التعليم عن مسارها، على الأقل في بلدان العالم العربي!

ومن هنا يتوجه الحديث عن مدرس الشريعة من حيثيات عديدة: من حيث علمه ومعارفه، وتدينه والتزامه، وهيبته وهندامه، ورسالته وقيمه ومثله العليا في حياته العلمية والاجتماعية، وأهدافه من وقوفه أمام طلابه. ولنتحدث عن كل واحدة بقدر ما يسمح به البحث.

1- علم مدرس الشريعة ومعارفه: اكتساب العلم وتحقيقه والتعمق فيه، وبذل الجهد في تحصيله والسهر من أجله، والصبر على طلبه، ومتابعة كل جديد فيه، سمات بارزة في سلوك المدرس الجامعي، هذه السمات هي من أركان مؤهلاته التي تسمح له بالوقوف أمام الطلبة معلماً وموجهً. وتحصيل العلم ليس مرحلة تنتهي عند الدكتوراه، ولا ترقى بصاحبها لتتوقف به عند درجة الأستاذية... وكم من أستاذ لما وصل إليها حطّ به الرحل، وطوى صفحة البحث وهجر القرطاس والقلم! نفهم من هذا أنّ السلوك البحثي الذي كان يقوم به هذا المدرس ما كان إلا وسائل لتحسين الدخل والوضع المعيشي، والارتقاء في السلم الوظيفي، والمنافسة على كراسي الإدارة، ولما كانت هذه عنده غايات لا وسائل، سلك كلّ السبل الممكنة للوصول إليها، بقطع النظر عن مشروعية ما يقوم به، فالمجاملات الأكاديمية تدفع الباحث إلى إدراج اسم زميله في البحث دون أن يكتب فيه حرفاً، وقد يشترك فيه من يحسنه ومن لا يحسنه، قال الحلبي: "وكل موضوع اشترك في البحث فيه من لا يحسنه مع من يحسنه كان نجاحه بعيداً، بل ربما كانت هذه المشاركة صارفة عن الوصول إلى النتيجة الحسنة"⁽²²⁾. وربما تستثمر بحوث الطلبة ليوظفها في بحوثه دون الإشارة إليها، والانتقاص من قدر المحاضرة ووقتها هو نوع من السرقات العلمية، إضافة إلى السطو المباشر على بحوث سابقة وانتحالها.

إنّ مخرجات البحث العلمي في علوم الشريعة يغلب عليها التواضع، بل إنّ جهود البحث العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس إضافة إلى بحوث رسائل الماجستير والدكتوراه... تتصف بأمرين اثنين، الأول: الجمود الذي يهيمن على معظم البحوث الشرعية وعجز معظمها عن الاستجابة لمتطلبات العصر وتحدياته، فالبحث العلمي يدور في حلقة مفرغة، لا يضيف إلى المعرفة جديداً، والثاني: التجديد الفجّ غير المنضبط، فلربما اشتط بعضهم -بداعي التجديد- فأنتج آراءً وأفكاراً لا تتسجم ومقاصد الشرع والدين.

إنّ أهم شيء ينبغي أن يعتاده المدرس وينشأ عليه هو البعد المنهجي الذي هو ضرورة يجب أن تتجسد في تكوين مدرس علوم الشريعة⁽²³⁾. وإنّه لا يمكن أن تتحول وظيفة البحث العلمي وأنشطته إلى وسائل كسب غير مشروع، وذلك لما يؤدي إليه من فساد العملية التعليمية، وفساد مخرجات التعليم الشرعي وغيره، حين تتحوّل الوسيلة إلى غاية، والحوافز إلى أهداف، والرسالة إلى وظيفة! وقد ذكر علماؤنا صفات مهمة للمعلم ترجع إلى تعلقه بالعلم درساً وتدریساً ذكرها ابن جماعة في أدب العالم والمتعلم، من أهمها⁽²⁴⁾:
أولاً: أن يصون العلم كما صانته علماء السلف ويقوم له بما جعله الله تعالى له من العزّة والشرف فلا يذله بذهابه ومشيه إلى غير أهله من أبناء الدنيا من غير ضرورة.

ثانياً: أن ينزّه علمه عن جعله سلماً يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو خدمة أو تقدم على أقرانه.

ثالثاً: أن لا يستتفد أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه منصباً أو نسباً أو سناً، بل يكون حريصاً على الفائدة حيث كانت، والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها.

رابعاً: الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف، لكن مع تمام الفضيلة، وكمال الأهلية، فإنه يطلع على حقائق الفنون ودقائق العلوم للاحتياج إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتنقيب والمراجعة.

إنّ العلم بأصول الدين، وأمّهات المسائل العلمية، وتاريخ التراث الإسلامي، وإتقان علوم الشريعة، والإلمام بمهمات علوم العصر، والاطلاع على مستجداته، والخبرة بالواقع المعيش من حيث ما يدور فيه من أحداث سياسية، ومشكلات اقتصادية، وتحديات تعصف بالأمة من الضرورات المعرفية، أي: النضج العلمي والأفق الواسع بمتطلبات الواقع وتحدياته قدر الطاقة والإمكان. إنّ في سيرة علمائنا السابقين مثلاً يحتذى، فقد كان العالم منهم أشبه بموسوعة علمية. وكان واحد منهم يتقن كل علوم عصره، أو معظمها. والعالم المعاصر مع الانفجار المعرفي الهائل يحتاج إلى أن يلمّ بشيء من هذه المعرفة قدر الإمكان.

2. **التدين والالتزام:** يمكن تعريفه بالصفات الخلقية والنفسية التي ينبغي أن يكون عليها مدرس الشريعة، تحدث العلماء كثيراً عما ينبغي أن يكون عليه مدرس الشريعة من علم وورع وتقوى وخلق ودين، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، إلى صفاته مع نفسه، وصفاته مع درسه، وصفاته مع طلابه، لأنه القدوة والمثل لطلابه، ويذكر ابن جماعة الكناني ثنتي عشرة صفة للعالم في نفسه، وتتركز على ثلاثة محاور: إصلاح علاقته بنفسه، وعلاقته بخالفه، وعلاقته بالناس، هي (25):

الأول: دوام مراقبة الله في السرّ والعلن. والالتزام بشعائر الإسلام والمندوبات الشرعية، وأن يظهر باطنه وظاهره بالأخلاق الحميدة، والجِدّ والاجتهاد في العبادة. وأن يتخلق بالزهد والتقلل من الدنيا.

الثاني: أن يتنزّه عن دني المكاسب ورذيلها طبعاً، وعن مكروهاها عادة وشرعاً. والاشتغال والإشغال قراءة وإقراء ومطالعة وفكراً وتعليقاً وحفظاً وتصنيفاً وبحثاً.

الثالث: معاملة الناس بمكارم الأخلاق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى بسبب ذلك، صادعاً بالحق عند السلاطين، باذلاً نفسه لله لا يخاف فيه لومة لائم.

هذه الأوصاف تجعل المعلم يتفوّق بأخلاقه على أخلاق العوام، وأنصاف المتعلمين والمتفقيهن، وتتشكل في نفسه القدوة؛ ليكون مثلاً يحتذى في سيرته وسريرته.

3. **الهيئة والهدنام:** من قيم العلم التي تعكس اهتمام مدرس الشريعة بالعلم واحترامه وتوقيره له أن يكون حسن الهيئة والهدنام، لما لذلك من أثر في نفوس طلابه، فالمظهر العام ضروري يعكس مزيداً من الاحترام للعلم، ولا شك أن سيكون له أثر إيجابي على نفوس كليهما: المعلم وطلابه.

والأحاديث النبوية في هذا السياق بلغت حدّاً جعلت علماء الحديث لأجله أن يضعوا كتاباً للباس والزينة في الصحاح والسنن التي دونوها، وتظهر تلك الأحاديث ما عليه الإسلام من ذوق رفيع في الاهتمام بمظهر الإنسان كما اهتمامه بمخبره وباطنه، من ذلك مثلاً "قول النبي ﷺ: «ما على أحدكم -إن وجد- أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنتيه»» (26).

وقد حثّ الصادق الأمين ﷺ على التحلّي بحسن الهيئة والسمت، فقال: "إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة" (27). والسمت كما في المصباح المنير: الْقَصْدُ وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَسَمَتَ الرَّجُلُ سَمْتًا مِنْ بَابِ قَتَلَ إِذَا كَانَ ذَا وَقَارٍ، وَهُوَ حَسَنُ السَّمْتِ أَيُّ: الْهَيْئَةُ (28)، فمراعاة الهيئة الإسلامية والصبغة الخاصة من الحشمة والوقار والسكينة والخلق الرفيع، والبعد عن سفاف الأمور مطلوب شرعاً؛ لأنّ ذلك من توقير العلم والسنة (29).

وفي سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين وسيرة علمائنا ما يجعل ذلك عرفاً من أعراف العلم وقيمه الأصيلة، فعن عمر رضي الله عنه قال: أستحب للقارئ أن يكون ثوبه أبيضاً، يعني: يفعل ذلك توقيراً للعلم (30).

وقال ابن جماعة: "إذا عزم على مجلس التدريس تطهر من الحدث والخبث، وتنظف وتطيب، ولبس من أحسن ثيابه اللائقة به بين أهل زمانه، قاصداً بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة"⁽³¹⁾.

وقالوا: يستحب له إذا أراد حضور مجلس التحديث أن يتطهر بغسل أو وضوء، ويتطيب ويتبخر ويستاك كما ذكره ابن السمعاني، ويسرح لحيته ويجلس في صدر مجلسه متمكناً في جلوسه بوقار وهيبة، وقد كان مالك يفعل ذلك ف قيل له فقال: "أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث إلا على طهارة متمكناً". وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم"⁽³²⁾.

وكان الإمام مالك رحمه الله إن أخبره الفقهاء أنهم يريدون الحديث دخل إلى بيته واغتسل وليس أحسن ثيابه وتبخر بالمسك والعود ثم يخرج إلى الحديث، ويطلق البخور بالمسك والعود طول مجلسه ذلك حتى يفرغ تعظيماً للحديث"⁽³³⁾.

وسأل رجلُ ابنَ المُباركِ عن حديثٍ، وهو يمشي، فقال: «لَيْسَ هَذَا مِنْ تَوْقِيرِ الْعِلْمِ»⁽³⁴⁾. وقال مالك بن أنس رحمه الله: «إِنَّ مَجَالِسَ الْعِلْمِ تُحْتَضَنُ بِالْخُشُوعِ وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ»⁽³⁵⁾، كل هذه الآثار وغيرها تدل على قيم العلم في المظهر والمخبر- ولما افتقدها كثيرون انعكست سلبياً على التعليم الشرعي ومخرجاته! فلا هيئة مدرس الشريعة هيئة عالم، ولا هيئة طالب علوم الشريعة هيئة طالب علم ذكوراً كانوا أم إناثاً!

4- القيم والمثل العليا: نوعان من القيم توجهان مدرس علوم الشريعة، القيم العلمية والقيم الاجتماعية، أما القيم العلمية فتتمثل في تقدير العلم واحترامه، واحترام أهله وطلبته، وبذل قصارى الجهد في تحصيله، وتحقيق مسائله، ونشره بين الناس، والالتزام بقيم الأمانة العلمية والنزاهة والموضوعية في التعامل مع الآراء والاجتهادات المخالفة لوجهة نظر المدرس، وأن يكون هذا العلم وسيلة إلى طاعة الله تعالى، والدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، فالعلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء هم القدوة والمثل الأعلى للعلماء. إن حضور قيم العلم - التي تعدّ من الفرائض- في نفوس من يطلب العلم ومن يعلمه ضرورة لازمة لصالح العملية التعليمية. وهو ما ينبغي أن ينشأ عليه طلبية علوم الشريعة، وما ينبغي أن يكون حاضراً في سلوك علمائها، وإلا فقد انهارت هذه القيم فيخرج الطالب من الجامعة دون أن يدخل المكتبة، ويتنقل بين أروقتها يقبل النظر في روفها. فما قيمة الكتاب عنده أو عند من يدرسه!

أما القيم الاجتماعية، فهي تلك الملكات الراسخة التي ينطلق منها مدرس الشريعة في تعامله مع أفراد المجتمع خصوصاً طلبية العلم، حيث تتجسد فيه قيم مدرس الشريعة في الحياة، ومدرس الشريعة هو أول وأولى من تظهر قيم الشريعة في سلوكه وأخلاقه بصفة عامة، فالعالم لا يعرف منه إلا أن يكون عالماً، ولا ينبغي أن يعرف عنه إلا الوسطية والاعتدال وحبّ العلم، والجود والكرم والعزّة والإباء وكرامة النفس، والأفق الواسع، والرفق في الأمر كله، وجمال الظاهر وصلاح السريرة والباطن. ولأنّه من أكثر الناس اتصالاً بالناس فلا بد أن يكون حسن الخلق لا فظاً ولا غليظاً كما هي سمة الإسلام، فعن عكرمة رحمه الله قال: «لِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاسٌ، وَأَسَاسُ الْإِسْلَامِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ»⁽³⁶⁾، فأن يكون مبشراً أفضل من أن يكون منفراً. والهيبة والوقار مظهران مهمّان يعكسان القيم التي يتصف بها أهل العلم ومدرسو الشريعة، فصلاحيهم يجعلهم موضع ثقة وقدوة عند الناس.

5. المقصد والهدف: ليس العلم الذي يسعى الطلبة إلى تحصيله ذاك الذي يقصد إلى الحصول على شهادة أو رخصة عمل يتكسب بها الطالب؛ ليكون عبد وظيفة يقات عليها. فالعلم لم يكن هكذا في تاريخنا

الإسلامي، لم يطلب لرزق ولا لعمل ولا لوظيفة، ولم تكن ثمة وظائف يتنافس عليها العلماء وطلبة العلم، بل كانوا يطلبون العلم لوجه الله تعالى، ويعلمونه ابتغاء مرضاة الله تعالى، ومن أقوالهم المأثورة في ذلك: قول سفيان بن عيينة: كنت قد أوتيت فهم القرآن، فلما قبلت الصرة من أبي جعفر سلبته⁽³⁷⁾. وقول يزيد بن ميسرة: من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجه العباد إليه، ومن أراد بعلمه غير وجه الله صرف الله وجهه ووجه العباد عنه⁽³⁸⁾.

وسئل الثوري: العلم أفضل أم الجهاد؟ فقال: ما أعلم شيئاً أفضل من العلم إذا صحت فيه النية. فقيل: يا أبا عبد الله، ما النية في العلم؟ قال: يريد الله ربه، والدار الآخرة⁽³⁹⁾.

وقال الحسين بن منصور اليميني: "أن يقصد العالم بعلمه وجه الله تعالى ولا يقصد به توصلاً إلى غرض دنيوي، كتحصيل مال أو جاه أو شهرة أو سمعة أو تميز عن الأقران ونحو ذلك، ولا يشين علمه وتعليمه بشيء من الطمع في رفق يحصل له من مشتغل عليه بمال أو خدمة أو نحوها، وإن قل، وإن كان على صورة الهدية، التي لولا اشتغاله عليه لما أهداها إليه، وكان منصور لا يستعين بأحد يختلف إليه في حاجة⁽⁴⁰⁾".

ثمة مقاصد عليا للعملية التعليمية أبرزها حفظ العلم وتداوله ونشره وتطويره، وتوظيفه لرفي الفرد ونهضة الأمة، إنه باستخدام هذا العلم يتم إيجاد الوعي الذي يحصن الأمة، ويدافع عن ماضيها وحاضرها، ويخطط لوصولها وبقائها في قمة الهرم بين الأمم. إنه لا شيء أنفع في نهضة الأمة من العلم، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان حب العلم وتعظيمه يسري في دماء أبناء الأمة وعلمائها.

إنّ إنتاج "علماء" بهذه الأوصاف هو تحدّ كبير تواجهه الأمة، فبإقرار كل من له شأن في التعليم يظهر أنّ الجامعات ومؤسسات التعليم لا تنتج علماء، ومما يزيد الطين بلّة أنّ دوائر عالمية وأخرى تبعية خبيثة تغذي إنتاج علماء يصنعونهم على أعينهم، يغدقون عليهم بينغون تحريف الكلم عن مواضعه، ويملون عليهم ما يريدون شرعته من قوانين السياسة وقرارات الحكم!

المبحث الرابع: المناهج والبرامج والمقررات الدراسية

لن نستطرد في بيان مشكلات المناهج والمقررات الدراسية من حيث ضعفها، وعدم قدرتها على مواكبة متطلبات العصر، وعمومية الأهداف وعدم انبثاقها من رؤية واضحة أو فلسفة بيّنة، وانغلاقها على العلوم الأخرى، وأخطر ما في هذه المشكلات أن تتحول الوسيلة إلى هدف، وعلم الآلة إلى غاية... ولكن بحسبنا أن نشير هنا إلى أمرين يتعلقان بمدى التحصيل العلمي للطلبة، هما:

الأول: المناهج التي يدرسها الطلبة في علوم الشريعة إجمالاً ومدى استيعابها للواقع المعاصر واستجابتها لتحدياته، وتأهيل الطلبة بما يستوعب متطلبات العصر، وقدرة تلك المناهج على بناء خطاب إسلامي معاصر قادر على اختراق الحواجز والحدود ليصل إلى قلوب الناس جميعاً محققاً العالمية التي هي خاصية من خصائصه. وهي مناهج تتعرض الآن لأبشع حملة من التزييف والتزوير والتشويه تهدف إلى الإجهاز عليها، وحرفها عن مسارها.

أضف إلى ذلك، أن المطلوب من المناهج الجديدة أن تنقل تفكير الدارس من مستوى الفرد ومشكلاته وقضاياها إلى مستوى الأمة والدولة. لا أن يبقى تناول الفقه الفردي محصوراً في نطاق سلوك الأفراد، ولا أن يبقى تفسير القرآن محصوراً في معاني المفردات وأسرارها، بل يتحول ذلك إلى تفسير يضع برامج علمية، ويقدم حلولاً عملية لمشكلات الأمة المسلمة، بل لمشكلات البشرية جمعاء.

"ومن الضروري أن يكون لكليات الشريعة والقانون دور في تقنين الأحكام الشرعية يبدأ بإدخال فكرة التقنين ضمن توصيفات المناهج الدراسية"⁽⁴¹⁾.

الثاني: الكتاب المقرر، وهو الكتاب الذي يشتمل على مادة ذات قيمة علمية ومنهجية، وفقه جليل يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويجعل الطالب على صلة قوية بتراث الأمة النافع المفيد، ويعرّف بمنهجية البحث العلمي فيها، ويشتمل على أساليب في التعليم، وأسس التقييم. على أنه ليس بمقدور كل مدرس إعداد كتاب مقرر، لأنه ممّا يتطلب خبرة علمية وتربوية واسعة، وباع طويل في التدريس. ومتابعة لأحدث ما تنشره مؤسسات التعليم والبحث العلمي.

وهنا تبرز أهم مشكلات تدريس علوم الشريعة وتحدياتها، أما ما يجري في كثير من الجامعات فإنّ الكتاب المقرر واحد من اثنين:

1- كتاب قديم لا يستطيع الطالب حلّ ألفاظه، وفكّ رموزه سواء في كتب العقيدة أو الفقه أو الأصول أو البلاغة أو التفسير... وهذا يقطع الطالب عن واقعه في بعض مجالات علوم الشريعة، ليشغل بفكّ الألفاظ وحلّ رموز العلم ومصطلحاته، وحفظ مادة ومصطلحات سرعان ما ينساها، إضافة إلى العمق اللغوي الذي لا يمكنه من استيعاب كلام العلماء.

2- كتاباً يؤلفه مدرس المادة على عجل، يخرق فيه قواعد البحث العلمي وأخلاقياته ومناهجه، ولربما يؤلف ذلك الكتاب ليكون مصدر دخل له أو لجملة المؤلفين، أو يكون ملتزماً فيه بأخلاقيات البحث العلمي، ولكنه يفتقر إلى الأهداف والمنهجية العلمية في البحث، وهذا أحد أوجه الخلل في تدريس علوم الشريعة، ومن شأن هذا أن يسهم في قطع صلة الطالب بكنوز المعارف التي يزخر بها تراثنا الإسلامي.

وهل ثمة قراءات ذاتية إضافية تعمق في نفس الطالب تلك الأهداف العلمية والمنهجية؟ إن حضور البعد المنهجي في المقررات الدراسية في علوم الشريعة ضرورة لازمة، بحيث لا تقتصر معرفة الطالب على مضامين علمية ومعرفية فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى تأسيس أو تأصيل عقلية علمية ومنهجية مبدعة لديها القدرة على النقد والتحليل.

أما البرامج الدراسية في علوم الشريعة فأشكالاتها كثيرة، ويترتب عليها إجمالاً سلبيات كثيرة تنعكس على الخلفية العلمية والمعرفية لطالب الشريعة، فحين تتفصل -مثلاً- اللغة العربية عن علوم الشريعة يصبح مستهجناً في نظر الطالب أن يتدخل التفسير في علوم اللغة، وبسبب الضعف اللغوي يعجز الطالب عن فهم أساليب البيان في القرآن الكريم والسنة النبوية. وإذا تخرج من قسم الفقه وأصوله لا يعرف كيف يخرج حديثاً، وإذا تخرج من قسم أصول الدين لا يعرف الفرق بين الفرض والواجب. ودخل تخصص الإمامة والوعظ ليزيد الطين بلة، وليقتصر هدف البرنامج على تزويد المساجد بخطباء ووعاظ، أو واعظات، مع إلمام بالمسائل التي يكثر سؤال الناس عنها.

إنّ التخصص في المرحلة الجامعية الأولى ينبغي أن يكون تخصصاً واحداً؛ ليحيط الطالب ولينأصل بعلوم اللغة والبلاغة والفقه والأصول والحديث والتفسير والعقيدة، ولتتشكل قاعدة علمية راسخة يستند إليها الطالب ويقف عليها. أو تزيد مساحة متطلبات الكلية لتستغرق سنتين دراسيتين ليقدّر على تشكيل تلك الأرضية العلمية والمعرفية، أما أن تقتصر على عدد من المواد لا تتجاوز - في أحسن تقديراتها- سبعة مواد فهذه غير كافية لتشكيل عقلية الطالب وصياغة منهج تفكيره.

أضف إلى هذه المشكلات مشكلة عرض المادة العلمية وتدريسها، وما تعانيه من ضعف هي الأخرى من حيث مناهج وطرق التدريس، وبدائية الوسائل المستخدمة في التدريس، ومن شأن هذا كله أن يضاعف حجم الأزمة التي تعاني منها علوم الشريعة.

والمطلوب بحق في المناهج الدراسية -اليوم- مدّ جسور التواصل مع العلوم الأخرى الإنسانية والاجتماعية، وهناك تجربة ناجحة قامت بها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، حيث ألزمت طلاب معارف الوحي - الشريعة- بضرورة اختيار تخصص واحد من فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية، والزمّت طلبة التخصصات الإنسانية والاجتماعية بدراسة تخصص الشريعة، وكذا شأن الطلبة في كليات العلوم النظرية والتطبيقية. وطرحت برامج منضبطة لهذه الغاية، مما يجعل الطلبة أكثر تأهيلاً في سوق العمل، وأكثر فاعلية في المجال العلمي والمعرفي.

المبحث الخامس: الوسط العلمي

نعني بالوسط العلمي ذلك التفاعل المثمر بين الطلبة في ملازمتهم لأعضاء هيئة التدريس، ويمكن أن يكون التواصل العلمي بين الطلبة أنفسهم، وبين أعضاء هيئة التدريس بعضهم مع بعض في بيئة جامعية تموج بالنشاط العلمي والمعرفي، فالعقول الكبيرة هي التي تتحدث دوماً عن الأفكار. وقد أصل علماءنا السابقون مبدأ التواصل الحي والملازمة الدائمة للمعلم أو الشيخ، ولم يستثنوا أحداً من ضرورة مجالسة العلماء حتى قالوا: "خير الأمراء من يجالس العلماء"⁽⁴²⁾. فالملازمة والمتابعة تكشف غايتها المتمثلة في النصح والتناصح فيما يعود بالنفع والخير على الفرد والأمة. ولا يتحقق طلب العلم إلا بها، فمن لم يلتزم العلماء يأخذ عنهم، ويسألهم فليس بمتعلم ولا طالب علم، فقد أخرج أبو عمرو الداني من زمرة المقرئين كل من لم يجالس العلماء، ولم يذاكر الفهماء، ولم يكثر العرّض للقرآن على القراء، ولا سأل عمّا يجب السؤال عنه، مما يدقّ ويعزّب من الأصول والفروع، مما لا بدّ لمن تعرّض للتصدّر ورواية الحرف من السؤال عنه، والكشف عن حقيقته، ولم يكن معه من الإعراب مما يُقيم به لسانه، ويعرف به خطأه من صوابه، فليس بمقرئ في الحقيقة"⁽⁴³⁾.

بل تجاوز الأمر حدود طالب العلم ليشمل الخلفاء وأئمة المسلمين، وأنّ الواجب عليهم ملازمة العلماء والفقهاء التي عدّها أبو بكر الخوارزمي من أسباب بقاء الدولة؛ لأنّ مجالسة العلماء ومصاحبة الفقهاء بركة وقوة في الدين والملك"⁽⁴⁴⁾.

هذا هو الأصل في طلب العلم: الملازمة والمتابعة للعلماء وسؤالهم والاستفادة منهم في العلم والمعرفة والأخلاق وشؤون الحياة فيما هو فرض وواجب أو حلال أو حرام...، هذا الوسط العلمي لا حضور له اليوم في الجامعات ولا المدارس، ولا حتى في المساجد! الوسط الذي تهيمن فيه قضايا العلم على ذلك التفاعل والتواصل لا حضور له، وبذلك تفقد العملية التعليمية واحدة من أركانها وركائزها.

وإذا أضفنا إلى ضعف هذا الوسط ضعفاً آخر يستتبعه ولا ينفك عنه، وهو محدودية التحصيل العلمي للطلاب - مع وجود التعليم الوجيه الذي يعبر عن الوسط العلمي- على اختلاف مراحل دراسته سواء في مؤسسات التعليم العام أو الخاص - ندرك أنّ العملية التعليمية تسير بانحدار متسارع إلى المجهول الذي يؤذن ليس بتدني مستوى مخرجات التعليم فحسب، بل انهيار منظومة التعليم كلها، وهي مؤذنة بخراب البلاد وهلاك العباد، وزوال الدول!

وحين يبتدع العباقره أسلوب التعليم الإلكتروني أو التعليم عن بعد (E-Learning) أو يستوردونه، ليقترح العملية التعليمية ندرك أنّه قد تم تسليع التعليم، وأنّ العلم قد تحوّل إلى مادة تبايع وتشتري تجارة

واستثماراً، فما قدرة الطالب على التركيز في تلك المحاضرات التي تدرس عن بعد؟ وما الذي سيجنيه طالب من معرفة ومنهج وطرق تفكير حين يعتكف على قراءة ذاتية لكتاب أو مقرر دراسي مفصلاً عن وسطه العلمي! ومنقطعاً عن بيئته الأكاديمية!! ثم كيف يوثق بطالب علم لم يلزم أستاذه، بل لم يره عياناً! لقد تقطعت أوصال العلم حين تحوّل إلى معلومات ساكنة صماء!

إنّه بغياب الوسط العلمي وسكونه وخموله، سيصبح العلم في نظر الطالب بضاعة مزجاة، وسلعة هينة، يزهّد في طلبها، بله التفاني من أجل الحصول عليها! ولذلك يعيش طالب العلم حالة من الضعف والإعياء في تحصيل العلم وطلبه تنعكس على مبلغ فهمه واستيعابه لمسائل العلم وقضاياها، خاصة تلك المسائل المتعلقة بعلم التفسير. ادع إلى محاضرة علمية وقم بالترويج لها، وانظر كم عدد الذين يحضرون هذه المحاضرة من الطلبة! إنّ همّ الطالب متوجه إلى الحصول على الشهادة الجامعية ليلتحق بسوق العمل، وليخط مسيرته في الحياة، فالعلم عنده مجرد وسيلة، والشهادة هي غاية الغايات ومنتهى الأحلام والسعادات! والنتيجة أن هذا الضعف العام يتناسق مع واقع الضعف المجتمعي في نظرتة إلى هذه العلوم.... فضعف علوم الشريعة تعكس ضعف التدين المجتمعي بوجه عام. وضعف التدين المجتمعي تعكس ضعف هذه العلوم بقلة المقبلين عليها من أولي النهى والألباب. فهل يغضب المجتمع من إمام يلحن في قراءة القرآن؟ وهل يغضب المجتمع من ضعف خطبة خطيب الجمعة؟ أو من ضعف مسؤول تقلد منصباً دينياً كبيراً أكبر من حجمه بأضعاف مضاعفة؟

إنّ المطلوب أن تعود اللحمة قوية بين الطالب وأستاذه، وأن ينشأ وسط علمي يشتغل بمحاضرات عامة، وندوات علمية، ومناظرات ونقاشات، وحوارات ولقاءات فكرية أو فقهية وأسئلة وجوابات...، فإنّ من شأن هذا أن ينعكس إيجاباً على العملية التعليمية. وإذا خلا من ذلك، وحلّ محله فراغ وإهمال، وتفريط في العناية بالعلم ومسائله فإنّ رغبة الطلبة بتحصيل العلم عموماً ستؤول إلى ضعف كبير. والمؤسسات العلمية معنية بأنظمتها وتعليماتها بتحريك هذا الساكن، ومعنية بأن تجعل من تلك المؤسسات منارات علم، ومشاعل معرفة، بحيث يسري حبّ العلم والتعلّم في نفوس الطلبة ووجدانهم. فهل ينشغل الوسط العلمي بقضايا العلم والمعرفة!! وهل يكون المسجد هو البديل لملازمة الشيخ وتلقي العلم كما يشهد بذلك التاريخ!

نتائج الدراسة:

لا أجزم أنني أحطت بما لم يحط به الأوائل والأواخر، ولكن حسبي أني وجهت البوصلة نحو جانب مهم من جوانب إصلاح عملية التعليم الشرعي يشمل أركان العملية التعليمية، ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يأتي:

1. ثمة إجماع عن دراسة علوم الشريعة في الجامعات المحلية يتناسب عكسياً مع معدل الحصول على الثانوية العامة، فكلما ارتفع المعدل قلّت نسبة المقبلين على دراسة هذه العلوم.
2. يعزى قلّة نسبة المقبلين على دراسة علوم الشريعة إلى ضعف الحوافز المادية والمعنوية التي يتمتع بها خريجو الشريعة، إضافة إلى عوامل نفسية واجتماعية وسياسية تحدّ من الإقبال على دراسة هذه العلوم.
3. التحرّر من التبعية، والاستقلالية في التخطيط للتعليم الهادف يعدّ القاعدة الأساس التي تركز عليها عملية إصلاح التعليم بوجه عام.
4. إصلاح نفسية الطالب وردم الهوة بينه وبين القرآن الكريم، وتأهليه لدراسة علوم الشريعة شرط رئيس لإصلاح عملية التعليم الشرعي. ويكون ببيان العلاقة التي ينبغي أن تكون مهيمنة على نفسية الطالب إزاء القرآن الحكيم، والتصوّر الحاكم للطالب في علاقته بالقرآن الكريم.

5. ومدرس علوم الشريعة يحتاج إلى صناعة علمية ومعرفية ومنهجية وأخلاقية وقيمية وسلوكية ليكون مؤهلاً لتدريس هذه العلوم، والواقع يشهد بضعف مخرجات التعليم الشرعي، وأنه سبب لا يمكن إهماله من حيث إسهامه في ضعف هذه المخرجات.
6. والمناهج والمقررات الدراسية تحتاج إلى إعادة صياغة؛ لإثبات قدرتها على الاستجابة لمتطلبات العصر وتحدياته، لا استجابة للضغوط السياسية أو الإملاءات الوافدة.
7. وآخر عناصر العملية التعليمية هو الوسط الأكاديمي الذي يجب أن يصنع صناعة محكمة، ليكون حافزاً وداعماً للعملية التعليمية. فوضع الطلبة والأساتذة في أجواء مشحونة بنشاط علمي فريد ينعكس إيجاباً على حبّ العلم والتنقيب عن درره وفوائده.

ومن التوصيات:

- أن تأخذ الحكومات المسلمة على عاتقها إنشاء مؤسسات علمية تهدف إلى إنتاج علماء ذوي كفاءة علمية ومعرفية عالية.
- تحسين الأحوال المعيشية لطلبة العلوم الشرعية، واستيعابهم في سوق العمل، ومكافأتهم برواتب عالية، على أن لا تقل رواتبهم عند تعيينهم عن رواتب أمثالهم من خريجي الطب والهندسة والصيدلة... فهذا يسهم إلى حدّ كبير في رفع شأن خريجي كليات الشريعة!
- إنشاء مؤسسات وافية تدعم الأذكياء من ذوي المعدلات المرتفعة لدراسة علوم الشريعة، وتتكفل برعايتهم طيلة فترة الدراسة الجامعية الأولى.

دليل المصادر والمراجع

1. الإبيهي، محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستطرف، بيروت: عالم الكتب، 1419 هـ.
2. الأصبحي، مالك بن أنس، الموطأ، دار التأسيس، 2016.
3. الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصر: دار السعادة، 1974.
4. الأعظمي، محمد ضياء الدين، المدخل إلى السنن الكبرى، الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.
5. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود. الكويت: مؤسسة غراس للنشر، 2002.
6. ابن بدران، عبد القادر بن أحمد، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الله التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1401 هـ.
7. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، القاهرة: دار الشعب، 1987.
8. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، الرياض: مكتبة المعارف.
9. البيهقي، أحمد بن الحسين، المدخل إلى علم السنن، تحقيق: محمد عوامه، مصر/ دار المنهاج، 2017.
10. ابن جماعة الكناني، بدر الدين محمد بن إبراهيم، تذكرة السامع والمتعلم في أدب العالم والمتعلم، مكتبة مشكاة الإسلامية.
11. ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، المدخل، بيروت: دار التراث، بلا تاريخ.
12. الجندي، أحمد أنور، التربية الإسلامية هي الإطار الحقيقي للتعليم. المكتبة الشاملة.
13. الحلبي، بدر الدين، التعليم والإرشاد، مصر: مطبعة السعادة، 1906.
14. حنبل، الإمام أحمد بن محمد، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001م.
15. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة.
16. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، بيروت: مؤسسة الأعلمي 1412 هـ.
17. السجستاني، أبو داود، سليمان بن الأشعث. السنن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: دار الرسالة العالمية، 2009.
18. الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مصر: مكتبة الحلبي، 1940م.
19. الشحود، نايف؛ المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى. المكتبة الشاملة.
20. صالح، أيمن، ضعف خريجي كليات الدراسات الشرعية، المكتبة الشاملة.
21. الصمدي، خالد وحللي، عبد الرحمن، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، دمشق: دار الفكر، 2007.

22. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بيروت: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ، هامش الإصابة.
23. عبد العاطي، محمد، تقنين الأحكام الشرعية ضرورة عصرية، ضمن أعمال ندوة القضاء الشرعي في العصر الحاضر، الإمارات العربية، المكتبة الشاملة.
24. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، توالي التأسيس بمعالي محمد بن إدريس، تحقيق: عبد الله الكندري، دار ابن حزم 2008م.
24. غرايبة، رحيل، كليات الشريعة والإرهاب" جريدة الدستور تاريخ 2017/3/17م.
25. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، بيروت: المكتبة العلمية.
26. الفاسمي، محمد جمال الدين، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، بيروت، دار الكتب العلمية.
27. النسائي، أحمد بن شعيب، السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، 1986م.
28. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
29. اليميني، الحسين بن منصور؛ آداب العلماء والمتعلمين، توثيق المكتبة الشاملة.
30. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- الأردن.
- المواقع الإلكترونية
31. موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. <https://www.iumsonline.org/ar>
32. <https://www.khaberni.com>
33. مشهور السعيد، كلية الشريعة وقائمة الإرهاب،

<http://www.alkuwaityah.com/Article.aspx?id=428538>

Sources and References

1. Al-Ibshihi, Muhammad bin Ahmed, al-Mostatraf fi kulli fanen mostazraf Beirut: The World of Books, 1419 AH.
2. Al-Asbahi, Malik bin Anas, Al-Muwatta, Dar Al-Taseel, 2016.
3. Al-Asfahani, Ahmed bin Abdullah, Abu Noaim, Hilyat al-Awliya and Tabaqat al-Asfiya, Egypt: Dar al-Saada, 1974.
4. Al-Azami, Muhammad Dia al-Din, The Introduction to the Great Sunnah, Kuwait: Dar al-Kholafa for the Islamic Book.
5. Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din, Sahih Sunan Abi Dawood. Kuwait: Ghiras Publishing Corporation, 2002.
6. Ibn Badran, Abdul Qadir bin Ahmed, The Introduction to the Imam Ahmad Doctrine, edited by: Abdullah Al-Turki, Beirut: Moasasat al-Risalah, 1401 AH.
7. Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, Al-Jami al-Sahih, Cairo: Dar Al-Shaab, 1987.
8. Al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad bin Ali, Al-Khatib, Al-Jami Li Akhlaq ar-Rawi wa aadab as-sami, edited by Mahmoud Al-Tahan, Riyadh: Knowledge Library.
9. Al-Bayhaqi, Ahmad Ibn Al-Hussein, Introduction to the Science of Sunan, edited by: Muhammad Awamah, Egypt / Dar Al-Minhaj, 2017
10. Ibn Jama`ah al-Kinani, Badr al-Din Muhammad Ibn Ibrahim, Tathkirat assami' Wa al-Mota' alim Fi aadab a;-A' alim Wa al-Mota' alim , Mishkat Islamic Library.
11. Ibn al-Hajj, Abu Abdullah Muhammad bin Muhammad al-Abdri al-Fassi al-Maliki, known as Ibn al-Hajj, Al-Madkhal, Beirut: Dar Al Turath, without history.
12. Al-Jundi, Ahmad Anwar, Islamic education is the true framework for learning. Almaktabah Al-Shamilah.
13. Al-Halabi, Badr al-Din, Teaching and Guidance, Egypt: Al-Saada Press, 1906.
14. Hanbal, Imam Ahmad Ibn Muhammad, Al-Musnad, edited by: Shuaib Al-Arna'out, Beirut: Moasasat Al-Risala, 2001
15. Al-Zarkashi, Badr al-Din, al-Burhan Fi Uluom Al-Qur'an, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Beirut: Dar Al-Ma'rifah, without history.

16. Al-Zamakhshari, Jarallah Mahmoud bin Omar, Rabih al-Abrar Wa Nussoss Al-Akhyar, Beirut: Mosasat Al-Alamy. 1412 AH.
17. Al-Sijistani, Abu Dawud, Sulayman bin Al-Ash'ath. Al-Sunan, edited by: Shuaib Al-Arnaout, Beirut: Dar Al-Risala Al-Alamiah, 2009.
18. Al-Shafi'i, Muhammad bin Idris, Al-Risalah, edited by Ahmad Shaker, Egypt: Al-Halabi Library, 1940 AD.
19. Al-Shohood, Naif; Al-Mofassal Fi Fiqih ad-Da'awah ila Allah Ta'ala. Almaktabah Al-Shamilah.
20. Saleh, Ayman, Weak graduates of the Faculties of Sharia Studies, Almaktabah Al-Shamilah.
21. Al-Samadi, Khaled and Hilali, Abdul-Rahman, The Crisis of Religious Education in the Islamic World, Damascus: Dar Al-Fikr, 2007.
22. Ibn Abd al-Barr, Abu Omar Yusef bin Abdullah al-Nimri. Al-Istee'ab Fi Ma'rifat al-Ashab, Beirut: Arab Book House, without date.
23. Al-Asqalani, Ahmad bin Ali bin Hajar, Tawali at-Tasees Fi Ma'ali Muhammad bin Idris, investigation by: Abdullah Al-Kandari, Dar Ibn Hazm, 2008 AD.
24. Gharaibeh, Raheel, Colleges of Sharia and Terrorism, Al-Dustour Newspaper, dated 3/17/2017.
25. Al-Fayoumi, Ahmad Bin Muhammad, Al-Misbah Al-Munir, Beirut: The Scientific Library.
26. Al-Qasimi, Muhammad Jamal al-Din, Qawa'ed attahdeeth Fi fonoon Mosstalah al-Hadith, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ulmiah.
27. Al-Nasa'i, Ahmad Bin Shuaib, Al-Sunan, edited by: Abd Al-Fattah Abu Ghuddah, Halab: Islamic Publications Library, 1986 AD.
28. Al-Naysaburi, Muslim bin Al-Hajjaj, Al-Jami' Al-Sahih. Investigation: Mohamad Fouad Abdel-Baqi. Beirut: Dar Ihyaa' at-Turath Al-Arabi.
29. Al-Yamani, Al-Hussein Bin Mansour; Aadab al-Ulamaa' Wa al-Muta'almeen, Almaktabah Al-Shamilah.
30. The Ministry of Higher Education and Scientific Research – Jordan.

Websites

31. World Federation of Muslim Scholars website. <https://www.iumsonline.org/ar>
32. <https://www.khaberni.com>
33. <http://www.alkuwaityah.com/Article.aspx?id=428538>

الهوامش:

- 1- ينظر: موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- 2- قامت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الأردن مشكورة بتزويدي بهذه المعلومات في الفترة من 20-2018/11/30
- 3- ابن بدران، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الله التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1401هـ، ص 485.
- 4- أيمن صالح، ضعف خريجي كليات الدراسات الشرعية، ص 41، المكتبة الشاملة.
- 5- انظر مقال د. رحيل غرايبة بعنوان: كليات الشريعة والإرهاب" جريدة الدستور تاريخ 2017/3/17م
- 6- انظر: موقع خبرني، تاريخ 2018-2-25. <https://www.khaberni.com>، وانظر: مشهور السعيد، كلية الشريعة وقائمة الإرهاب، 2017-7-29. <http://www.alkuwaityah.com/Article.aspx?id=428538>
- 7- أحمد أنور الجندي، التربية الإسلامية هي الإطار الحقيقي للتعلم، المكتبة الشاملة، ص 2.
- 8- البخاري، الجامع الصحيح، القاهرة: دار الشعب، 1987. كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ح 71.
- 9- أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001م، ج 4، ص 225، ح 2397.
- 10- محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مصر: مكتبة الحلبي، 1940م، ص 19.

- 11- انظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، توالي التأنيس بمعالي محمد بن إدريس، تحقيق: عبد الله الكندري، دار ابن حزم 2008م. ص 145. وورد هذا السؤال بصيغة: كيف طلبك للأدب، انظر: ابن جماعة الكناي، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص 5.
- 12- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ج 2، ص 180-181.
- 13- رواه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ج 6، ص 236، ح 5027.
- 14- أخرجه الإمام أحمد في المسند، ح 15762، قال الأرنؤوط في تخريجه: إسناده صحيح. القاهرة: مؤسسة قرطبة.
- 15- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بيروت: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ، هامش الإصابة، ج 2، ص 143.
- 16- أحمد بن شعيب النسائي، السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، كتاب الافتتاح، باب مسألة القارئ إذا مرّ بآية رحمة، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، 1986م. ج 2، ص 177، ح 1009.
- 17- مالك بن أنس الأصبحي، الموطأ، دار التأسيس، 2016، ج 1، ص 346، ح 196.
- 18- مسلم بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ج 1، ح 223، ص 220.
- 19- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. كتاب السنن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: دار الرسالة العالمية، 2009. كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، ج 4، ح 4246، ص 96.
- 20- بدر الدين الحلبي، التعليم والإرشاد، مصر: مطبعة السعادة، 1906 ص 245-246.
- 21- خالد الصمدي وعبد الرحمن حللي، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، دمشق: دار الفكر، 2007. ص 140-141.
- 22- الحلبي، التعليم والإرشاد، ص 115.
- 23- انظر: خالد الصمدي، وعبد الرحمن حللي، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص 57.
- 24- انظر: بدر الدين محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناي، تذكرة السامع والمتعلم في أدب العالم والمتعلم، مكتبة مشكاة الإسلامية، ص 16-18.
- 25- انظر: المصدر السابق نفسه، ص: 10-18.
- 26- انظر: سنن أبي داود السنن، كتاب الصلاة، باب اللبس يوم الجمعة، ح 1078. وهو حديث صحيح. كما ذكر الألباني في صحيح سنن أبي داود، الكويت: مؤسسة غراس للنشر، 2002، ح 989.
- 27- حديث حسن لغيره، انظر: أبو داود كتاب الأدب، باب في الوقار. ج 7، ح 4776، ص 155.
- 28- أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، بيروت: المكتبة العلمية، ص 287.
- 29- انظر: نايف الشحوذ؛ المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى. المكتبة الشاملة، ج 12، ص 38.
- 30- ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدي الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، بيروت: دار التراث، بلا تاريخ. ج 1، ص 135.
- 31- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص 19.
- 32- محمد جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 234.
- 33- المدخل لابن الحاج، ص 135.
- 34- أحمد بن الحسين البيهقي، المدخل إلى علم السنن، تحقيق: محمد عوامه، مصر، دار المنهاج، 2017- ج 2، ص 816.
- 35- محمد ضياء الدين الأعظمي، المدخل إلى السنن الكبرى، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ص 393.
- 36- أحمد بن عبد الله، أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصر: دار السعادة، 1974، ج 3، ص 340.
- 37- أبو بكر أحمد بن علي، الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، الرياض: مكتبة المعارف، ج 1، ح 843، ص 367.
- 38- محمد بن أحمد الإبشيهي، المستطرف في كل فن مستطرف، بيروت: عالم الكتب، 1419 هـ، ص 27.
- 39- جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، بيروت: مؤسسة الأعلمي 1412هـ، ج 4، ص 33.
- 40- الحسين بن منصور اليميني؛ آداب العلماء والمتعلمين، توثيق المكتبة الشاملة، ص 1.
- 41- محمد عبد العاطي، تقنين الأحكام الشرعية ضرورة عصرية، ضمن أعمال ندوة القضاء الشرعي في العصر الحاضر، الإمارات العربية، المكتبة الشاملة، ص 29.
- 42- الزمخشري، ربيع الأبرار، ج 4، ص 35.
- 43- انظر: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني، تصحيح: خليل أبو عنزة، ص 16.
- 44- انظر: الخوارزمي، أبو بكر محمد بن العباس، مفيد العلوم ومبيد الهموم، بيروت: المكتبة العصرية، 1418هـ، ص 447-449.